للوجود انفتاح على العالم وتمثّل لمكوّناته الأصيلة.

يقول ستيتية في ندوة حول «كلمات الشعر، كلام الأنبياء»:

«في علاقتنا بالكلام نُخاطِر بتوازننا مع العالم. فبقدْر ما يكون هذا الكلام معيشاً، بقدر ما يلتقي في ذاتنا بمكان التجذّر الأساسيّ. وليس هذا المكان مكانَ انغلاق، بل هو مكان انفتاح. الشجرة متجذّرة، وهي تنتصب واقفة، تبسُط أوراقها في وجه العالم والكواكب: إنها حيّة». إنّني أجد أنّ هذه العلاقة بين الكلام والتجذّر الأساسيّ للكائن، إنّما تقوم وتتأسّس في اتّجاهين: اتجاه الإبداع (من الشاعر إلى الورقة البيضاء المنعزلة في ضوء المصباح، كما يقول باشلار)، واتجاه القراءة (من القصيدة إلى المتلقّي الذي يضطلع بدور إعادة الكتابة).

وأسوق مثالاً على تعدّد القراءات التي تسمح بها كتابة ستيتية ترجمة عنوان الديوان: L'Être poupée: **الوجود الدمية** – الموجود (الكائن) الدمية، الوجود دُميةً، الوجود دُميةً (كدمية)، إلخ.

كذلك كتابه الذي بعنوان: **L'eau froide gardée** أذكر أنّني قرأت ترجمة له: الماء البارد المحروس. أنا أفضّل: الماء المحفوظ بارداً (فالشاعر يقصد بيروت، التي تستقي اسمها على ما يبدو من الآبار التي كانت تحيط بها وكانت تحفظ الماء بارداً خلال أيام القيظ).

ستيتية لا يكتب ليعطي المعنى بل ليفجّر المعاني في قلب القارئ.

في النهاية، كلمة حول الديوان ككلّ. **الوجود الدمية** قصيدة كبيرة تندرج كلّ القصائد ضمنها. إنّه جملة واحدة، وعلينا أن نقرأه كجملة واحدة، القصيدة فيها جملة والجملة فيها كلمة، والكلمة فيها حرف. لا يأتي المعنى في هذا السياق إلاّ من حوار الكلمة مع جارتها، ومن تناغم القصيدة مع أختها. بذلك يتحقّق «تهامس اللّغة» فيما بينها الذي تكلّم عنه أدونيس. وبذلك يتحقّق أيضاً فعل القراءة/الكتابة الذي تحدّثت عنه، فموقع القارئ يأتي بالذات في وسط بناء هذه العلاقة بين الكلمة ونظام الكلمة، بين القصيدة والديوان.

قبل أن أصل إلى نهاية القول، أذكر قطعة لستيتية بعنوان «الممنوع» يقابل فيها بين المصباح الذي يهدّده اللّيل (وهو شعلة القنديل الذي يضيء الصفحة البيضاء أمام الكاتب) وبين الواقع المحسوس لامرأة. يقول: «سلام المرأة وسلام المصباح يتّحدان... الأوّل والآخر، المرأة واللّغة، المرأة والشعر، كوكبٌ، الكوكب نفسه في كلّ لامعقولية المعنى، فوق دجلة والفرات في جغرافية الهذيان». في عبارة واحدة جميع ستيتية بين الأبعاد الأساسية لشعره: الكتاب، واللّغة، والمرأة، والمعنى، والكون.

في النهاية، هذه أربعة أبيات من شعر ستيتية تلخّص علاقة الشاعر بوجود القارئ:

ومن يقول الكلمات يكون يومها القوّة
التي تجذب جسد النار. والذي
لا يقول شيئاً سيُزَوِّد بكلمات
آخَر، قالها في سبيل خلاصه.

فجر الصورة

تحيّة إلى صديقي صلاح ستيتيّة

أدونيس

– ١ –

تَتقدّم لغتهُ في فجر الصّورة،
طالعةً من ليل المعنى.

– ٢ –

يَنْحني اللّيل عبْرَ كتابته، احتفاءً
بقراءتها.

– ٣ –

يذوب المعنى في ماء الصّورة:
الشعر فِكرٌ، والفكر شِعر.

– ٤ –

يمدّ لكَ المستقبل يديه، فيما
يَستقبلكَ حاضرُ كلماته.

– ٥ –

للكلماتِ في كتابته سرٌّ يأخذكَ
منذُ أن ينجلي
ويغمركَ ضوؤه، يُسلِمكَ إلى
سرٍّ آخر.

– ٦ –

لن تعرفَ كيف تَقراه، إلاّ إذا
كنتَ تعرف الوقوفَ على شفير
الكلام: الكتابةُ، هي أيضاً، غَوْرٌ
سحيقٌ من الضّوء.

– ٧ –

كتابتُه جَسَدٌ يمشي بقدمي
اللّيل من أجل أن يكونَ أكثر قرباً
إلى الشّمس.

– ٨ –

تَعلَّمْ أن تألفَ الخطرَ فيما تَتَنَقَّلُ
بين ذُرواتِ كَلامه.

– ٩ –

تَشعرُ، فيما تقراه، أنّ الزّمنَ
أفراسٌ مِن الكَلِمات.

– ١٠ –

كتابةٌ كمثل حَقْلٍ من البراعم
تَتفتّح فيما تقرأها. ولها في كلّ
قراءةٍ تفتّحٌ مُخْتَلِف.

– ١١ –

لغةٌ تخلقُ، هي أيضاً، طواطِمها
وتسيِّجها بأسْلاكٍ من الضّوء.

– ١٢ –

كتابةٌ يَخْفى العِلْمُ في شِعْرِها،
خَفَاءَ العِطْر في الوَرْدة.

– ١٣ –

لغةٌ هي التي تَخلقُ الشّيء:
تُعطيه صُورَته، فَنّياً، ومَعْرِفيًا.

– ١٤ –

كتابةٌ لا تقدّم «غذاءً»: تقدّم
الحافزَ لِلبحث عن الغذاء، – ليست
حصاداً، بل حَقْل.

– ١٥ –

كتابةٌ لا تسردُ، لا تروي: تُقيم
في أَحْضانِ اللّغة، في حَوْضِها
الحميم – رَحِماً داخِلَ الرّحِم؛
ودَائِماً على أُهْبَةِ الولادة.